مُقَدّمة

اللهم اكفنا شر الأصغرين، قيل: وما الأصغران ؟ قيل: القلب واللسان. سمى القلب قلبًا لأنه متقلب يقلّبه الله حيث يشاء بين حب وبغض.. بين غضب وتسامح.. أما اللسان فلأنه فوهة القلب، ومعبر العبارة المختزنة والشعور الكامن. والمرأة وهى المخلوق الضعيف الذى يتنسم الحياة بمشاعره القلبية حيث تسرى فى أوداجها دفقات الحنان، تلك التى تجعل معيار سعادتها عاطفة مستقرة فى وجدان شريك قوّام تحتمى به وتسعد فى رحابه، وتفخر به أمام لداتها، فهو موضع احترام وتقدير. وهى زَوجُهُ التى اختارها بعقله قبل قلبه، وهى التى حظيت به دون بنات حواء جميعًا.

من هذه الركيزة المستقرة يتواصل عطاء المرأة، ويتجدد الدم النقى فى عروق الليالى ما دام القلب عامراً بالحب الصادق الذى أمده الرحمن بمدد من نفحات الرحمة وديمومة المحبة. أما أن تفقد المرأة فى كنف الشريك والقائم واحدة من هذه المهام، فإن الوهن عندما يتسرب إلى نسيج المحبة، ويتحول «الدانتيل» الرقيق فى ثوب الزوجية إلى ثقوب تتكشف من خلالها العورات، فتجهض علقة القبول من رحم المحبة، وتسكن عناكب الملل والنفور فى الدم

المتخثر المتحشرج فى أروقة القلب والروح. . وهنا لا تجد إلا امرأة هُدمت فى صباها، وأطفئت مصابيح الشباب والنضارة فى مقلتيها، وتسللت الأنواء تعبث فى كيانها فتستوى الأشياء فى ناظريها طاعة أو نشوزًا، فالكراهية وجه قبيح بألف قناع، فهى عاصية له لا تطيع له أمرًا، وهى ممتنعة عن فراشه.

ولقد آثرت أن أقف على أسباب عزوف النساء عن «ديناميكية» الحياة الزوجية والوقوف منها موقف غير المبالى، أو الرافض، فالأيام فقدت رونقها، والأعوام تتقاذف كلاً من الشريكين إلى يوم لا مرفأ له، ولا تزيدهم الأعوام سوى شعيرات بيضاء تتوّج ليلهما الممتد، وهالات من دخان متبقٍّ من مسيرة قطار العمر.

* الصمت والتصبر من أجل ولد جاء على حلبة الكراهية فجاء راكدًا باردًا. أو من أجل الحفاظ على الكيان الاجتماعى، واسم العائلة التى أكلها داء التحنيط فصارت كالعهن المنفوش.

* هن راضيات كارهات عازفات رافضات وهن فى خاتمة أمرهن لربهن عاصيات، وكفاهن حديث رسول الله ﷺ:

«ثلاثةٌ لا ترتفعُ صلاتُهم فوقَ رؤوسهم شبرًا: رجلٌ أَمَّ قومًا وهم له كارهون، وامرأةٌ باتتْ وزوجُها عليها ساخط، وأخوانِ متصارعان»(١).

---

(١) سنن ابن ماجه: جـ١ ص ٣١١ ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب من أم قومًا وهم له كارهون، رقم الحديث ٩٧١، وفى الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وعندما قذفت بمقولتى المحذرة فى بحيرة صمتهن الآسن المعتم، خرجت الكلمات الفوارة كأنها جذوة مشتعلة أبدًا تزيدها برودة الأيام اشتعالاً؛ فألقت كل منهن إلى مسامعى كل ما فى جعبتها وتخلّت. واجترّت من أغوارها عصفًا مأكولاً هرسته أفيال الصمت، وخرجت من هذه الأمواج الصاخبة بشباك سخية الأحزان، عظيمة الجذور والأصداف الفارغة التى لا بريق لها سوى فقاعات الهواء المخزون.

وإذا بى أمام صنوف من الرجال أهدروا كيان الأسرة، وأصرّوا واستكبروا استكبارًا، وأوصدوا الباب أمام كل الحلول المشروعة. من هؤلاء: الزوج الذى أجبرت عليه المرأة وهى كارهة له، والزوج الذى لا يعمد إلى إعفاف الزوجة وهو قادر عليه، والزوج الذى يبخل بالنفقة على زوجه وولده، والذى لا يغار على زوجه ويدفعها إلى مخالطة الرجال، والزوج الذى لا يرى المرأة سوى شريك فى الكسب وتحصيل المال، والزوج الذى يميل إلى الأخريات ويكثر الحديث عنهن وقد ينشئ معهن علاقات متنوعة!! والزوج الذى يسيء معاملة زوجته فيهينها ويجرح مشاعرها ويعيّرها، والزوج الذى لا يرعى لله حقًا فيها فلا يعدل فى قسمه.

وإذا بى أيضًا أمام صنف من النساء لم يتركن معبرًا واحدًا للتواصل والتصالح، من هؤلاء: الزوجة العاصية لزوجها، والتى لا تطيع له أمرًا، وكذلك الزوجة الممتنعة عن فراش زوجها،

والزوجة التى تتطاول عليه بالسباب والشتائم، والزوجة المتكبرة المتسلطة، والزوجة التى تخرج من بيتها بغير إذنه، أو التى تستضيف فى بيت الزوجية مَنْ كَرِهَ، أو الزوجة الممتنعة عن الإنجاب لكراهتها له، أو التى قد تسقط حملها نشوزًا أو إعراضًا عن زوجها.

كانت هذه أهم أسباب النشوز السلبى والإيجابى من قبل الزوجين، والتى وقفت أمامها وجهًا لوجه من خلال لحظة صدق مع النفس لا تتأتى كثيرًا.

هذه الأسباب التى تجعل الطلاق أمرًا واردًا فى كل لحظة، وربما سلطة الرجل ـ الذى بيده عُقدة النكاح ـ جعلت الأمر أكثر تعقيدًا عند البعض، فمنهم من يمسكهن ضرارًا وعدوانًا وإمعانًا فى كيد الكارهة، فيذرها كالمعلَّقة.

ولأنها الشريعة العادلة المحكمة التى لا يُظلم فى رحابها مؤمن، لم تترك المرأة مهيضة الجناح مقهورة السلطة، مسلوبة الإرادة، مرتعًا لنزغات الشيطان، تعيش مهينة مجبرة كارهة مكرهة فى سجن الزوجية.. سجانها زوج متجبر متسلط لا يتقى الله، ولا يفقه شريعته، بل أعطتها الحق أيضًا فى الخلاص والفكاك من سجن الزوجية.. فكان التشريع العادل بمنحها الحق فى «الخُلْع».. الطلاق بيد الزوج، والخلع بيدها.

وقبل الدخول فى تفاصيل الخلع، وما يترتب عليه من آثار قد

لا تقل خطورة عن الطلاق الذى هو أبغض الحلال ـ كان لابد أن نتحدث عن منهج الشريعة فى معالجة النشوز، والتعرف على أسبابه، وطرق معالجته سواء من المرأة أو من الرجل، وذلك فى معالجة تمهد لبحث الخلع.

والله من وراء القصد..

* * *

جاء البحث على النحو التالى:

ـ مبحث تمهيدى حول النشوز الموجب للخلع.

ـ الخلع، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالخلع.

المبحث الثانى: التعريف بالطلاق فى قول موجز.

المبحث الثالث: الخلع بين الفسخ والطلاق وما يترتب عليه.

المبحث الرابع: العِوَض فى الخلع.

المبحث الخامس: الوكالة والأهلية فى الخلع.

* * *